[الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ بِعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْتِحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى] الجمعة الثانية

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ بِعْثَتِهِ رَحْمَةً مُهْدَاةً، وَهِدَايَةً مُسْدَاةً، وَشِرْعَةً بَيْضَاءَ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ عَلَيْنَا خَيْرَ كُتُبِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا خَيْرَ رُسُلِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، أَرْسَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ اِلسَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، لِيُقِيمَ بِهِ الْـمِلَّةَ، وَيَبْسُطَ بِهَدْيِهِ السُّنَّةَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا مُتَلَازِمَيْنِ مَا تَلَازَمَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ الْأَبْرَارِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْـمُؤْمِنُونَ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47)}

عِبَادَ اللَّهِ؛ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يُنَادِي الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ عَبْدَهُ وَحَبِيبَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِنِدَاءِ النُّبُوَّةِ؛ رِفْعَةً لِـمَكَانَتِهِ وَتَأْكِيدًا لِرِسَالَتِهِ؛ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الْغَايَةَ مِنْ إِرْسَالِهِ، وَكَثِيرًا مِنْ مَزَايَاهُ وَخِصَالِهِ؛ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ، وَالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ لَهُمْ....، إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَإِنَارَةِ حَيَاتِهِمْ بِسُنَّتِهِ وَسِيرَتِهِ، فَهُوَ السِّرَاجُ الْـمُنِيرُ، وَبَدْرُ التَّمَامِ الَّذِي يُنِيرُ ظَلَامَ الدُّجَى، فَأَسْعَدَ بِذَلِكَ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا، وَالْكَوْنُ كُلُّهُ مُسْتَنِيرٌ بِنُورِهِ، وَمُسْتَبْشِرٌ بِبِعْثَتِهِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ؛ لَـمَا بُعِثَ الْحَبِيبُ الْـمُصْطَفَى ﷺ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْـمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، وَآتَاهُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مَا تَحَارُ مِنْهُ الْعُقُولُ؛ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ؛ وَمِنْ تِلْكُمُ الْآيَاتِ وَالسُّنَنِ تُسْتَمَدُّ الْأَحْكَامُ فِي سَائِرِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارِ دُونَ انْقِضَاءٍ؛ فَامْتَدَّتْ فِي شُمُولِهَا وَعَطَائِهَا حَتَّى غَطَّتْ حَيَاةَ النَّاسِ؛ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَمُعَامَلَةً وَسُلُوكًا وَأَخْلَاقًا، وَسَعِدَتْ بِهَا الْبَشَرِيَّةُ سَعَادَةً لَمْ يَسْبِقْ لَهَا نَظِيرٌ مِنَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ؛ وَمَنْ أَبْرَزِ تَجَلِّيَاتِ ذَلِكَ:

أَوَّلًا: جَاءَ الْحَبِيبُ الْـمُصْطَفَى ﷺ بِالْعَقِيدَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ الشِّرْكِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ؛ فَهَذَّبَتِ النُّفُوسَ مِنْ أَهْوَائِهَا، وَسَمَتْ بِالْأَرْوَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِيمَانِهَا وَصَفَائِهَا، وَجَعَلَتِ النَّاسَ سَوَاسِيَةً كَأَسْنَانِ الْـمُشْطِ؛ لَا فَضْلَ لِأَحَدِهِمْ عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِالتَّقْوَى، فَعَاشَ الْـمُؤْمِنُونَ بِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً، أَوْرَثَتْهُمُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالسَّكِينَةَ فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْـمَالِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾.

ثَانِيًا: شَرَعَ لَنَا ﷺ مِنَ الشَّرِيعَةِ مَا يَضْمَنُ إِخْلَاصَ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِقَامَةَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَهَاتَانِ الْغَايَتَانِ حَقَّقَتَا لِلنَّاسِ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ، وَضَمِنَتَا لَهُمُ الْـمُحَافَظَةَ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: (كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).

ثَالِثًا: جَاءَ الْحَبِيبُ الْـمُصْطَفَى ﷺ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَجَعَلَهَا أَسَاسَ شَرِيعَتِهِ وَالْحُكْمِ عَلَى عِبَادَاتِ الْإِنْسَانِ وَمُعَامَلَاتِهِ وَسُلُوكِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)، وَفِي رِوَايَةٍ: (لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

وَهَكَذَا فَقِيمَةُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ فِيمَا تُحَقِّقُهُ لِلْمُسْلِمِ مِنْ ثَمَرَاتٍ تَظْهَرُ فِي التَّمَسُّكِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَتُجَنِّبُهُ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ؛ فَالتَّوْحِيدُ عَهْدٌ بِالِامْتِثَالِ، وَالصَّلَاةُ صِلَةٌ بِلَا انْفِصَالٍ، وَالصِّيَامُ إِمْسَاكٌ عَنْ سُوءِ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ، وَالزَّكَاةُ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَنْمِيَةٌ وَطَهَارَةٌ لِلْمَالِ، وَالْحَجُّ قَصْدٌ صَحِيحٌ وَتَجَرُّدٌ مِنْ قَبِيحِ الْخِصَالِ.

تِلْكُمْ – عِبَادَ اللَّهِ – بَعْضُ الْغَايَاتِ الَّتِي قَصَدَهَا الشَّارِعُ فِي تَشْرِيعِ تِلْكَ الْأَرْكَانِ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهَا النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَبِالْإِخْلَاصِ وَالْإِتْقَانِ فِيهَا يَعِيشُ أَهْلُ الْإِيمَانِ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ؛ بَلْ وَيَسْعَدُ بِهِمْ مَنْ جَاوَرَهُمْ وَاسْتَفَادَ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ كَمَا اسْتَفَادَ مِنْ مُجَاوَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْـمُؤْمِنُونَ بِهِ وَغَيْرُهُمْ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الصَّالِحِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْـمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ اِلْـمُصْطَفَى الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

هَذِهِ أُصُولُ مَا تَضَمَّنَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ، اَلَّتِي جَاءَ بِهَا الْحَبِيبُ الْـمُصْطَفَى ﷺ لِإِسْعَادِ الْأَنَامِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لَـمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ كُتُبِ السَّابِقِينَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً). أَيْ: جِئْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ بَيْضَاءَ لَا ظَلَامَ فِيهَا، وَنَقِيَّةً مِمَّا شَابَ غَيْرَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ.

وَالْـمُتَأَمِّلُ فِي سِيرَةِ الْحَبِيبِ الْـمُصْطَفَى ﷺ، يَجِدُ فِيهَا الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ؛ فِيمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى؛ إِذْ كَانَ يَقُومُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ، وَقَالَ تَعْلِيقًا عَلَى ذَلِكَ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُوراً) . وَإِذْ يُعَامِلُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ مُعَامَلَةَ النَّاصِحِ الْأَمِينِ، حَتَّى أَحَبَّهُ النَّاسُ جَمِيعًا، وَرَغِبُواْ فِي مُعَاشَرَتِهِ وَمُجَاوَرَتِهِ وَمُصَاهَرَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَلَاقَاتِ وَالْقَرَابَاتِ.

وَهَكَذَا فَشَمَائِلُهُ ﷺ أُنْمُوذَجٌ يُقْتَدَى بِهِ، وَيُتَنَافَسُ فِي الْأَخْذِ بِهِ وَالتَّعَلُّقِ بِمَضَامِينِهِ، وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ فِيهِ، وَالتَّمَلِّي وَالتَّحَلِّي بِسَمَاعِهِ وَإِسْمَاعِهِ؛ لِـمَا يَحْمِلُهُ مِنْ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ وَجَمَالِ الْكَمَالِ النَّبَوِيِّ.

عِبَادَ اللهِ؛ اتقوا الله وَجَدِّدُوا الْعَهْدَ وَالْعَزْمَ عَلَى السَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِ وَهَدْيِهِ، وَحَاسِبُوا النَّفْسَ عَلَى مَدَى الْتِزَامِهَا بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

أَلَا فَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ – عِبَادَ اللهِ كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ – عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ وَالسِّرَاجِ الْـمُنِيرِ؛ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تَامَّيْنِ دَائِمَيْنِ بِلَا انْقِطَاعٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْـمُتَّبِعِينَ لِسُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، خُصُوصًا مِنْهُمُ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ الْـمُؤْمِنِينَ؛ وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مَحْفُوظًا بِحِفْظِ كِتَابِكَ، مَكْلُوءاً بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَفِي جَنْبِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، مَوْفُورَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ. اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ وَالِدِينَا، وَارْحَمْ مَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ، عَلَى سَنَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، اَللَّهُمَّ أَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَأَمِتْنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَتِهِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.